

أضواء البيان

@ 9 @ والضمير في قوله { أَنْ اِقْدِ فِيهِ } راجع إلى موسى بلا خلاف . وأما الضمير في قوله { فَاقْدِ فِيهِ فِي الْيَمِّ } وقوله { فَلَا يُلَاقِيهِ } فقليل : راجع إلى التابوت . والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت ، لأن تفريق الضمائر غير حسن ، وقوله { يَا خُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهِ } هو فرعون ، وصيغة الأمر في قوله { فَلَا يُلَاقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ } فيها وجهان معروفان عند العلماء : . أحدهما أن صيغة الأمر معناها الخبر ، قال أبو حيان في البحر المحيط : و { فَلَا يُلَاقِيهِ } أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغة ، إذا الأمر أقطع الأفعال وأوجبها . الوجه الثاني أن صيغة الأمر في قوله { فَلَا يُلَاقِيهِ } أريد بها الأمر الكوفي القدري ، كقوله { إِنَّ زَمَّآ أَمْرُهُ إِذْ أَرَآدَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فالبحر لا بد أن يلقيه بالساحل ، لأن [] أمره بذلك كوفياً وقدرأً . وقد قدمنا ما يشبه هذين الوجهين في الكلام على قوله تعالى : { فَلَا يَمْدُدُّ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدَدًا } .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآيات أوضحه في غير هذا الموضع ، كقوله في (القصص) : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مَرْيَمَ أَنْ ارْمِيَّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُّوهُنَّ إِلَىٰ لَدُنِّكَ وَمَنْ عَدَا لَّهُمْ إِنَّا نَجْعَلْهُنَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنظَرْنَ أَصْنَٰهُنَّ } وقد بين تعالى شدة جزع أمه عليه لما ألقته في البحر ، وألقاه اليم بالساحل ، وأخذه عدوه فرعون في قوله تعالى : { وَأَصْحَابِ } .